

بسم الله الرحمن الرحيم
من حياة الأتقياء (الزبير بن العوام)
الحلقة الثالثة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-
أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إليكم نماذج من حياة الأتقياء تتمثل في شخصية أحد العشرة المبشرين بالجنة ، إنه الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب . وأحد الستة أهل الشورى وأول من سل سيفه في سبيل الله .

عرف أبو عبد الله رضي الله عنه طريق الأتقياء مبكراً فقد أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة وقال يتيم عروة هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة وكان عمه يعلقه ويدخن عليه وهو يقول لا أرجع إلى الكفر أبدا .

كان للزبير (رضي الله عنه) مواقف مشهودة في خدمة الإسلام ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كان يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارساً الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة.

وكان له في نصرة الإسلام يوم أحد موقف مشرف ، عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : يا ابن أخي كان أبواك يعني الزبير وأبا بكر من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع ، لما انصرف المشركون من أحد وأصاب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا فقال من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوة فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين فخرجوا في آثار المشركين فسمعوا بهم فانصرفوا قال تعالى: {فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء} . لم يلقوا عدوا .

وهاهم الأتقياء في كل المواقف ينتهزون الفرص لنصرة الإسلام والمسلمين ، وهاهو صاحبنا نجده أيضاً في غزوة الخندق فعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق من يأتي بنا بخبر بني قريظة فقال الزبير أنا فذهب على فرس فجاء بخبرهم ثم قال الثانية

فقال الزبير أنا فذهب ثم الثالثة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير .

وفى فتح مكة أيضاً ، عن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم فتح مكة لواء سعد بن عباد فدخل الزبير مكة بلواءين.

ويروى لنا ابنه عبدالله بن الزبير طرفاً من تلك الحياة التي تتمثل في الخوف من موقف الحساب يوم القيامة ، وذلك في الحرص على قضاء الدين وكان ذلك في آخر أيامه ، يقول عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي، قال فوالله ما دريت ما عني حتى قلت: يا أبة من مولاك قال الله عز وجل، قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير أقض عنه فيقضيه.

قال وقتل الزبير ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين بالغابة ودارا بالمدينة ودارا بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر.

وما ولي الزبير إمارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا إلا أن يكون في غزو مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان، يقول عبدالله : فحسبت دينه فوجدته ألفي ألف ومئتي ألف فلقي حكيم بن حزام الأسدي عبد الله فقال يا ابن أخي كم على أخي من الدين؟ فكتمه، وقال مئة ألف فقال حكيم ما أرى أموالكم تتسع لهذه فقال عبد الله أفرأيت إن كانت ألفي ألف ومئتي ألف قال ما أراكم تطيقون هذا، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف فباعها عبد الله وجعل الله فيها بركة ، وقال: من كان له على الزبير دين فليأتنا بالغابة، فكان الناس يأتونه ، وقضى كل دين والده.

فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه بقي بقية من المال من قيمة تلك الأرض ، جاء بنو الزبير فقالوا : أقسم بيننا ميراثنا قال لا والله حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضت أربع سنين قسم بينهم فكان للزبير أربع نسوة قال فرفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئة ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف .

أيها المستمعون الكرام لنا مع قصة دين الزبير عدة وقفات : .

أولاً : الهم الذي كان يحمله الزبير لأداء تلك الحقوق ، وهذا الذي جعله يوصي ابن عبد الله حينما أحس بدنو أجله بذلك الدين والحرص على قضائه ، كما أعطاه التوجيه السليم في هذا الجانب هو الاستعانة بالمولى سبحانه وتعالى على ذلك ، وهذه مما يؤكد أمانته وصدقه وإيمانه بالمولى سبحانه وتعالى .

ثانياً : حرص الابن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) الذي أوصاه والده بقضاء ذلك الدين وسعى جاهداً في تنفيذها على وجهها فأعانه الله سبحانه وتعالى على سداد الدين كله رغم كثرته .

ثالثاً : الحرص الشديد على حقوق الخلق الذي ظهر من سيرة الزبير وكذلك من تصرف ابنه بعد ذلك حينما طلب منه الورثة أن يقسم بينهم الميراث المتبقي بعد قضاء الدين ، طلب منهم الإنظار إلى حين التأكد من عدم وجود مطالب بدين . علماً أن من الناس اليوم من يسارع في توزيع الميراث طمعاً دون الاهتمام بما يلحق الميت من دين .

لا عجب في ذلك إنها حياة الأتقياء .

وفي المقابل أخي المستمع نجد في زماننا هذا طائفة من الناس لا يبالون بحقوق الخلق ولا يحرصون على سداد الديون ، بل يتجاوز ببعضهم الأمر إلى أنه يستدين بنية عدم السداد ، وهناك من يتساهل أكثر وأكثر إذا كان الدين للدولة وليس لفرد بعينه ، وهذا أشد خطراً لأنه من بيت مال المسلمين وتتعلق به حقوق عدد من الخلق . أين هؤلاء من الوعيد الشديد على أكل حقوق الآخرين .

عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ قُلْتَ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنْ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ . رواه مسلم . هذه هي الشهادة في سبيل الله تكفر الخطايا ولا تكفر الدين لتعلقه بحقوق الخلق .

وكيف يتصور ذلك الذي يأكل حقوق الآخرين عندما يقف يوم القيامة ويرى الناس يتخطفون حسناته وهو أحوج ما يكون إليها ، وليس هذا فحسب ، استمع إلى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالَوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ . رواه مسلم .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...